المحبة

عناصر الموضوع

مفهوم المحبة ٦٠
المحبة في الاستعمال القرآني ٦١
الألفاظ ذات الصلة ٦٢
أنواع المحبة ٦٣
صفات المستوجبين حب الله تعالى ٨٣
آثار المحبة وثمارها ٨٦

مفهوم المحبة

أولاً: المعنى اللغوي:

أصل المحبة مأخوذ من حبب التي هي بمعنى اللزوم والثبات، ومنه يقال: أحبه حبا ومحبة إذا لزمه(١).

والحب: نقيض البغض، والحب: الوداد والمحبة(٢).

والحب: الحبيب وكذلك الحب بالكسر(٣).

ثانيا: المعنى الاصطلاحي:

قال الراغب: المحبة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرا(٤).

وقال الكفوي: المحبة: هي عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملذ(٥).

فتكون العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي علاقة التلازم بالمحبوب، فالمحبة الكاملة التي يلزم منه ربط الميل والانجذاب إلى المحبوب(٦)، والله أعلم.

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ٢٦، المفردات، الراغب ص ٢١٤.
(٢) لسان العرب، ابن منظور ١/ ٢٨٩.
(٣) الصحاح، الجوهري ١/ ١٠٥.
(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب ص ٢٩٦، المفردات، الراغب ص ٢١٤.
(٥) الكليات، الكفوي ص ٣٩٨.
(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/ ٢٢٥.

المحبة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (حبب) في القرآن الكريم (٨٣) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفعل الماضي	٦	﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:٧]
الفعل المضارع	٧٣	﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ⑳﴾ [الفجر:٢٠]
المصدر	١٠	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧﴾ [العاديات:٨]
اسم التفضيل	٢	﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣]
الاسم	١	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨]

وجاءت المحبة في الاستعمال القرآني على ثلاثة أوجه[2]:

الأول: الإيثار: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢]، يعني: آثرت حب الخير.

الثاني: المودة: ومنه قوله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]

الثالث: الطعام: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨]، يعني: على الطعام

---

[1] انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله جلغوم، باب الحاء، ص٤١٨-٤١٩.

[2] انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص١٣٢-١٣٣.

الألفاظ ذات الصلة

الشغف:

الشغف لغة:

أن يبلغ الحب شغاف القلب، وهي جلدة دونه[1].

الشغف اصطلاحًا:

احتراق القلب بالحب مع لذة يجدها[2].

الصلة بين الشغف والمحبة:

علاقة الأعم بالأخص إذ الشغف محبة خاصة.

الخلة:

الخلة لغة:

(الخليل) الصديق، والجمع (أخلاء)[3].

وهي أخص من الأخوة[4].

الخلة اصطلاحًا:

المحبة خاصة لأخ معين من بين سائر الإخوان تفيد اشتراكًا بينه وبين أخيه. قال ابن القيم: وهي أعلى مراتب المحبة[5].

الصلة بين الخلة والمحبة:

العلاقة بين المحبة والخلة علاقة الأعم بالأخص، إذ الخلة محبة خاصة عالية، وهي أعلى مراتب المحبة.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٨/ ٤٤، المصباح المنير، الفيومي ١/ ٣١٦، لسان العرب لابن منظور ٩/ ١٧٩.

(٢) الكليات، الكفوي ص٥٢٩.

(٣) المصباح المنير، الفيومي ١/ ٩٦.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠/ ١٩٩.

(٥) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٣/ ٢٩.

أولاً: المحبة المباحة:

يرد لفظ الحب في القرآن والسنة بكل جوانبه الطبيعية والشرعية، فالجوانب الفطرية أو الطبيعية مثل حب الآباء والأبناء والأزواج وحب المال وسائر الشهوات.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

والمحبة الفطرية هي التي يحب فيها الإنسان الشيء بمقتضى فطرته، كمحبة النوم والطعام والشراب والمال والولد والوطن. وفي الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل"[1].

وأخرج عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال وطول العمر"[2].

فهذه هي المحبة الفطرية الجبلية كما وردت في النصوص الشرعية.

ويقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فيعني هذا أن الإسلام يعترف بالواقع النفسي للإنسان ويقره على هذا الواقع، أن لديه نزعات فطرية نحو هذه الشهوات من مال وبنين ونساء وما شابه، ولم يأت الإسلام ليستأصل هذه النزعات من كيان الإنسان وإنما جاء ليهذبها وليحول دون انفلاتها، لأنها محترمة لدى الإسلام، هذه النزعات لا ينظر إليها الإسلام بازدراء أو احتقار، مخالفة الإنسان مشاعر الإنسانية لأن الإسلام دين الفطرة كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

فكيف يكون دين الفطرة ثم يحظر هذه النزعات الفطرية لديه؟! إنما هناك ضوابط لهذه النزعات، أن تحب المال فليس هذا منكرًا في الإسلام، لكن كيف تجمع هذا

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، ٨/ ٨٩، رقم ٦٤٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، ٨/ ٩٠، رقم ٦٤٢١.

الشاق؟ وكيف نحبه؟ وكيف نبغضه؟ فالجواب لابد أن نركز على جانب واحد.

إن الإسلام دين سمح يعترف بعواطف الناس ومشاعرهم ولا يصادمها، فهو لا يصادم الفطرة، ولا يصادم العقل، ولا يصادم المشاعر، دين يتطابق مع الفطرة.

والمحبة الشرعية هي التي أمر الشارع بها أمر وجوب أو استحباب كقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[1].

والمحبة العقلية وهي يميل إليها ويقرر حسنها كما تقول: (الكرم محبوب) أي أن العقول تقر أن الكرم والشجاعة والقوة محبوبة لدى الإنسان، وكما تقول للكافر: أحب فيك العلم والصبر، أي أنك تحب الأوصاف الموجودة فيه محبة عقلية، لا شرعية، ولا فطرية.

وقد كان يظهر بادئ الأمر أن بينهما التزاماً، لكن في حقيقة الأمر أنه ليس بينهما تلازم، بل بينهما تداخل، والفرق بينهما أن المحبة الفطرية قد تكون موجودة، لكن تختلف المحبة العقلية، كمن أحب المال وبخل به محبة فطرية، ويعلم هو بعقله حسن الكرم والجود، ولكن غلبت محبته الفطرية محبته العقلية، وكذلك العكس يكون محبة النساء والبنين وغير ذلك، وهذا النوع لا يقدح في كمال الإخلاص ومحبة الله، ولا يخرج من الإسلام، وذلك مثل محبة ما زينه الله للناس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيحبها الإنسان محبة شهوة، كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء ونحو ذلك، وحتى نفرق بين الحب في الله وبين المحبة مع الله في هذا النوع الثاني فإنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يحبها لله، أي: أنه يحب المال والنساء ونحو ذلك لله لتوصله بها إليه، وليستعين على مرضاته وطاعته فيه، فيثاب عليها، وهي من قسم الحب لله، ولذا يثاب عليها ويلتذ بالتمتع بها، وهذه حال أكمل الخلق الذي حبب الله إليه من الدنيا النساء والطيب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذكر ذلك في الحديث الصحيح[2]، وكانت محبته لها عوناً له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره وهذا يدخل فيه ما يشبهه، مثل: محبة النكاح لمن أراد العفاف، ومثل أن يأكل الإنسان الأكلة يتقوى بها على طاعة الله، ومثل أن ينام النومة ليستعين بها على الصلاة وعلى

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان، ١/١٢، رقم ١٥.

[2] أخرجه أحمد في مسنده ١٩/٣٠٥، رقم ١٢٢٩٣.

وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/٥٩٩، رقم ٣١٢٤.

محبة الله في الخيل، وغير ذلك من الأمور، فتحول هذه الأمور المحببة إلى النفس إلى نوع عبادة وطاعة؛ لأنها أوصلت إلى ما يحبه الله تبارك وتعالى ويرضاه.

القسم الثاني: أن يحب هذه الأمور الموافقة طبعه وهواه وإرادته، ولكنه لم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه، بل نالها بحكم الميل الطبيعي، فهذه تكون من قسم المباحات ولا يعاقب عليها، ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة له بمقدار ما يقع في هذه الأمور، أي أنه إذا زاد فيها عن الأمر المعتاد فربما ينقص حب الله أو محبته في الله بقدر غلوه وزيادته في تلك الأمور، وهذا أمر مشاهد فإنّ من تعلق بالدنيا أو تعلق بشكل الجسد أن ينقص من محبته الله والمحبة في الله بمقدار ما زاد من تلك المباحات.

القسم الثالث: أن تكون هذه الأمور التي ذكرناها آنفًا هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها، وتقديمها على ما يحبه الله ويرضاه، ففي هذه الحالة تكون له حالتان:

الأولى: أن يقدمها على ما يحبه الله في أصول الدين وأصول العبادات، مثل أن يقدم المال على عبادة الله، أو يقدم محبته الشهوات على عبادات الله تبارك وتعالى، مثل الصلاة وتضييعها فهذا قد ذهب بأصل دينه.

الثانية: أن يقدمها بحيث تؤثر على عباداته لله التي لا يقدمها بالكلية، مثل أن تشغله مثلًا عن المحافظة على الصلاة في أوقاتها أو نحو ذلك من العبادات، ففي هذه الحالة يتحول حبيبها إلى أن يكون ظالمًا لنفسه مقصرًا عاصيًا، ولكنها لا تخرجه عن دائرة الإيمان(١).

إذا علمنا هذا تبين لنا أن المحبة الفطرية مثل محبة النفس لطفله التي تجعل الإنسان حذرًا من موته حتى إلى حين رحيله وسعيه حياته وجهده، ويشكر مسعاه، وتحنن القلب إلى أطفاله برؤية أولاده يعتبر نوع من المحبة الفطرية.

الثالثة: إن من عظيم فضل الله تعالى أن يجعل جزاء من يموت في الهجرة الجنة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

يقول المفسرون: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الجنة(٢).

بل جعل الله تعالى من أسباب القتال الإخراج من الديار والأوطان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ

---

(١) انظر: المحبة في الله، مختار حسن المحمود ص١٣-١٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ١٩٧.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

فهذا تعبير عن حب الوطن (حبًّا فطريًّا) كغيره مثله ويزداد أيضًا عليه.

ولذلك جعل الشرع من مصارف الزكاة المسافر المنقطع به، كما قال تعالى: ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

حيث كان غريبًا في وطنه فيصرف له وقت انقطاعه حتى يعود راجعًا لبيته الذي هو محل السكن، كما قال صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: (السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه)[1].

وهذه الصفة موجودة في فراق الوطن، وكما قال أهل العلم: مفارقة المألوفات أشد المكروهات.

ثانيًا: المحبة المحمودة:

والمحبة المحمودة تعتبر أنواعًا منها:

١. محبة الله تعالى:

وهذا من أعظم أنواع المحبة، فقد جاء لفظ الحب في القرآن والسنة ليدلل حب الله لعباده المؤمنين في مثل قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

كما أن الله تعالى أوجب علينا محبته، وتوعد من خالف ذلك بقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فمن الضرورة محبة الله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه)[2].

يقول مصطفى السباعي: «من أنست نفسه بالله لم يجد لذة الأنس بغيره، ومن أشرق قلبه بالنور لم يجد له طعم الظلام، ومن سمت روحه بالحقيقة لم يرضَ إلا ملازمة السماء، ومن أحب معالي الأمور لم يجد مستقرًّا إلا الجنة، ومن أحب الخلد لم يقنع إلا أن يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أدرك أسرار المحبة لم يرَ محبوبًا يستحق الحب إلا الله تبارك وتعالى»[3].

فمن عرف الله تعالى أحب الله وخشي

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب، ٣/٨، رقم ١٨٠٤.

[2] انظر: كنز العمال، رقم ٣٤١٦٥، ١٢/ ٩٥.

[3] السيرة النبوية، مصطفى السباعي، ص٢٣.

قدر معرفته بالله يكون حبه لله، ولهذا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حبًا لله؛ لأنه كان أعرفهم بالله، يقول عليه الصلاة والسلام: «أنا أعلمكم بالله»[1].

يقول الحسن البصري: «من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه؟!»[2].

والله تعالى يحب، ومن أحبه الله كان مع الله في معيته، ولمست حفظه وعنايته جل في علاه، قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

ومحبة الله تعالى لمن يحب هي محبة خاصة يختص بها أحبابه وأولياءه محبة نصر وتقريب وعناية ورعاية، فضلًا عن المحبة العامة التي هي محبة العلم المحيط الشامل، ففي الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني»[3].

والله تعالى يحب، ومن أسمائه الودود، وقد ذكر لفظ: «الودود» في القرآن الكريم مرتين: في سورة هود حيث يقول تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

وفي سورة البروج حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

والود: الحب، ومعنى الودود: المحب المؤمنين الذي يحبهم ويودونه، محبتهم بمحبته.

ولا يحمل المؤمن محبة غير الله تعالى فوق محبة الله. فالله تعالى يتوعد من شغلته محبة غيره عن محبته جل في علاه، وأصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته العبودية[4]: «إن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة (لانصباب القلب إليه)، ثم الغرام وهو الحب الملازم للقلب، ثم العشق، وآخرها التتيم، يقال: تيم الله أي: عبد الله. فالمتيم هو المعبد لمحبوبه»[5].

وهكذا يكون طريق المحبة: أوله أمر إلهي وآخره طاعة لله تعالى واستجابة لأمره. وفيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أعلمكم بالله»، رقم ٢٠، (١/ ١٣).

[2] السيرة النبوية، مصطفى السباعي ص ٤٩.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، رقم ٧٤٠٥، (٩/ ١٢١).

[4] العبودية، ابن تيمية ص ٧٣.

[5] مدارج السالكين، ابن القيم ص ١٩٨.

هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»[1] الحديث.

وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله يحبه»[2].

كما ورد ما يثبت حب المؤمنين لربهم عز وجل وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ويروى أن رجلًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: «أنت مع من أحببت»[3].

كيف نحب الله تعالى؟

إن المتدبر والمتأمل لتلك الآيات الكريمة التي مررنا بها ليشعر بالخوف والرهبة من هذا الترتيب الشديد، ولعل السؤال المطروح: كيف نحب الله تعالى؟

إن الفلسفة في عرف البشر أنهم لا يحبون ما لا يعرفونه بمحبة ما يعرفونه لا عن تجربة.

وحب الله تعالى يتحقق بمعرفة الله تعالى، فكلما زادت معرفة العبد بربه زاد حبه له، وكلما تفكر في نعم الله عليه تعلق حبه لربه؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، فالإنسان يحب وطنه، ويقلب يحبه، ويظل الإنسان إلا ظل بغيره، وقلب يحبه.

ومتى يتحقق حب الله يلزم أن تحب الآخرة، فالدنيا لا يجتمع حبها مع حب الآخرة في القلب وإنما يظلا متنافرين منها

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، ٨/ ١٣١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ٩/ ١٤٠، رقم ٧٣٧٥، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، ١/ ٥٥٧، رقم ٨١٣.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله، ٨/ ٤٩، رقم ٦١٧١، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب، ٤/ ٢٠٣٢، رقم ٢٦٣٩.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وفي كلمتي [illegible]

[illegible]

[illegible]

الآخر كما يكون في ... في الحياة(١)

إن حب الله ليس بالأمر الهين الذي يسهل ادعاؤه لأنه حب يقتضي التضحية لله ورسوله أحب إلى أحدهم من كل شيء: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (التوبة: ٢٤)

ثمار المحبة ووسائلها

أولاً: الاقتداء والمتابعة للمحبوب

إن محبة الله وأثر تحقيق المحبة أنها: تثمر لصاحبها حظًا وراحة في الدنيا، ولم يكن ليحصل عليها لولا هذه المحبة، إذ المحب يجد من السرور من لذة المناجاة لمحبوبه أو أن ظفر بالمحبوب كالمريض أو العبد لمحبوبه فيحب أن يسترضيه بطاعته، وأن يسأل الله تبارك وتعالى مرضاته، وأن يبتعد عن أسخطه ويتحرى من طاعته، وبذلك تحصل محبة الله تبارك وتعالى من الخير الكثير، وأن تصل إلى ربهم أو إلا أثر حبهم وحلاوة طرف ... والخير كثير والظاهر خير لما العابدون والساجدون الخير كله لمحبتهم للخالق.

فحقيقة المحبة وأكثر ما فيها من حيث حقيقتها بالاقتداء والمتابعة، حيث إن المحب على محبته لا يقدم أمرا ولا نهيا على أمر ونهي من يحبه وهو الله تبارك وتعالى، مما يثمر ذلك لديه الاستجابة في السر والعلانية وفي كل ذلك من ثمرات المحبة، واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل اتباعه مسلكًا لتحقيق المحبة وثمارها.

ومن علامات المحبة الصادقة لله ورسوله الإقدام طاعة الله والجهاد في سبيله، واتباع رسوله قال الله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان رقم ١٦

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن ذلك المحبة في تحقيق الصلاة، فالمحب يحب تكرار اللقاء ليقبل على النوافل فرحًا بوقوفه بين يدي ربه جل وعلا.

ومن أثر المحبة تحقيق الجهاد والدعوة، فالمحب لا يألو جهدًا في الدعوة إلى سبيل مرضاته، وتعريف العباد به، ويبذل كل غالٍ في سبيله، ولهذا وصف الله الذين يحبهم ويحبونه فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

فمن امتلأت قلوبهم بمحبته باعوا نفوسهم لله تعالى يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

وكذلك فللمحبة أعظم الأثر في تحقيق الصيام والحج له، والزكاة اتباعا لأمره جل وعلا، وغيرها من العبادات التي إذا قام بها العبد بدافع من محبته لربه تعالى كانت أكمل وأفضل.

فالمحبة دافع على منتهى الاجتهاد في الطاعة، «من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه»[1].

فالمحبة والمعرفة والإخلاص ومطية الحبيب أثمرت أنواع العبادات وآتت ثمارها، فإن انضم لدافع المحبة دافع الخوف والرجاء كانت العبودية أكمل والاستقامة أتم.

ثالثًا: الحشر مع المحبوب:

إن المتأمل في الآيات التي جاء فيها لفظ الحشر ليدرك أنها جاءت لتؤكد الحشر والجمع مع من كان يحبونه أو يعبدونه، يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ

---

(١) القول لعتبة بن غلام.
انظر: روضة العقلاء لابن حبان ص٨١.

طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

وفي هذه الآيات دلالة واضحة على أن الذين أجرموا حشروا مع أقرانهم، وأن الذين آمنوا حشروا مع أقرانهم، فعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ هنّ حقّ: لا يجعل الله من له سهمٌ في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولى الله عبدٌ فيوليه غيره، ولا يحب رجلٌ قومًا إلا حشر معهم»[1].

ومن الأحاديث المشهورة في هذا المعنى حديث أنس رضي الله عنه، أن رجلًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها؟» قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: أنت مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[2].

والحب المقصود هنا نوعان:

الأول: المحبة الدينية، أي المحبة لأجل الدين والصلاح، فمن أحب الصالحين لصلاحهم وأحب ما هم عليه من التقوى والدين، رجي أن يحشره الله معهم في جنته، ومن أحب الكفار المجرمين ومصاحبتهم ووالاهم على ما هم عليه، كان ذلك أيضًا سببًا لحشره معهم.

قال ابن بطال رحمه الله: ومعنى هذا الحديث أنه لما كان المحب للصالحين إنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملًا من أعمال القلوب، واعتقادًا لها، أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين، إذ النية هي الأصل، والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء[3].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

أي: وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين، فإياك وإياهما، لا تطعهما في ذلك، فإن مرجعكم إلي يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما، وصبرك على دينك، وأحشرك مع الصالحين، لا في زمرة والديك، وإن كنت أقرب الناس إليهما

---

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ٦/ ٢٩٣، وفي المعجم الصغير ٢/ ١١٤. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٩٦.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، ٨/ ٣٩، رقم ٦١٦٧.

[3] باختصار من شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٩/ ٣٣٢.

في الدنيا، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب، أي: حبًا دينيًا، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]⁽¹⁾.

ويقول ابن حجر الهيتمي رحمه الله في حديثه عن كبيرة محبة الظلمة أو الفسقة وبغض الصالحين-: (عد هذين كبيرة هو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة: (المرء مع من أحب) وهذا وعيد إذ الفرض أنه أحب الفاسقين لفسقهم وأبغض الصالحين لصلاحهم وظاهر أن محبة الفسق كبيرة كفعله، وكذا بغض الصالحين؛ لأن حب أولئك الفاسقين وبغض الصالحين يدل على انحلال ربقة الإسلام وعلى بغضه، وبغض الإسلام كفر، فما يؤدي إليه ينبغي أن يكون كبيرة)⁽²⁾.

الثاني: المحبة المؤدية لتشابه الأخلاق والأعمال، فمن أحب أحد الصالحين وتشبه بما هو عليه من الصلاح والتقوى دخل الجنة بإذن الله، ومن أحب الفاسقين أو الكافرين، وأدت به محبته إلى التشبه بأحوالهم ومشابهتهم كان معهم في العذاب أيضًا.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: قال الحسن: يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول: (المرء مع من أحب) فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم، وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع⁽³⁾.

أما الحب الدنيوي الذي يكون بسبب قرابة أو صداقة أو مصلحة مادية أو زواج أو غير ذلك من أسباب الدنيا الفانية، فلا يكون سببًا للجمع في المحشر أو المصير، فالمسلم الذي يحب والده غير المسلم حبًا فطريًا، ولا يحشر معه، وغير المسلم الذي يحب صديقه المسلم مثلًا من غير إسلام واتباع لا يحشر معه، وهكذا كل أنواع المحبة الدنيوية لا مدخل لها في معنى هذا الحديث.

ويقول الزرقاني رحمه الله: (المرء مع من أحب) في الجنة بحسن نيته من غير زيادة عمل؛ لأن محبته لهم لطاعتهم، والمحبة من أفعال القلوب، فأثيب على ما اعتقده؛ لأن الأصل النية، والعمل تابع لها، ولا يلزم من المعية استواء الدرجات، بل تتفاوت بحسب تفاوت الرؤية والمشاهدة، وكلٌّ في درجته.

وقال السخاوي: قال بعض العلماء: ومعنى الحديث أنه إذا أحبهم عمل بمثل أعمالهم. قال الحسن البصري: من أحب قومًا اتبع آثارهم، واعلم أنك لن تلحق

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٢٦٥.

(2) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١٨٤.

(3) انظر: إحياء علوم الدين ٢/ ١٦٠.

بالأخيار حتى إني أكره ما يفعله بعضهم والتحلي بمحاسنهم والصبر والسعي على مصاحبتهم حرصًا أن تكون منهم"(1).

ومع ذلك تنبه الشباب إلى أن التعلق بالفاسقين والمجاهرين -بالمعاصي وأشكالهم والمفتونين- إنما هو من الأوهام والخيالات التي لا تجر إليهم إلا كل شقاء وشر، وهي الباب للتعلق بالشهوات والتحول بحال كسالبهم فإن بين الظاهر والباطن ارتباطا لا يجمعه الحب والمشابهة في الظاهر توجب المحبة في الباطن، وكذلك العكس بالعكس.

أما الحب النافع فهو حب الصالحين والأخيار والمتقين فيما يعود بالنفع على الأمة والبشرية جمعاء من خلال نشر العلم والخير في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فرطنا المحبة حتى لأن تكون للمحب مع المحبوب أمر ظاهري لا يكون غير ظاهره وكراهة نفسه هو على محبته إياه، فإذا كانت المحبة متوسطة أو قريبًا من ذلك كان معه بحسب ذلك، وإن كانت المحبة كاملة كان معه كذلك.

والمحبة التامة توجب معها الموافقة للمحبوب في محبوبه إذا كان المحب قادرًا عليها، فحيث انتفت الموافقة مع القدرة يكون لنقص من المحبة بقدر ذلك وإن كانت موجودة وحب الشيء ولوازمه يستلزم بغض ضده وكراهته مع العلم بالتضاد"(2).

[illegible]

الرشاد الذهبي الأكرم

---

(1) انظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (8/ 204).

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (10/ 207).